



براك". ذلك ما يجب أن يسعى الصائم إلى تحقيقه وكسبه من صومها؛ حتى لا يشقى بالصوم وهو يظن أن الله قد أدى فرضاً لازماً، وفهم أن الله بمجرد امتناعه عن المفطرات الحسية قد صام؛ إذ بقدر ما تتقلص حقائق الصوم وأهدافه يتقلص الأجر، وتتفاوت النسب بينه وبين الوزر، وهذا المعنى يقرره قول الرسول (ص): "رب صائم ليس له من صيامه إلا الجوع.. ورب قائم ليس له من قيامه إلا السهر". إن واقع الحال أن أكثر المسلمين لم يدركوا من معاني الصوم إلا أن الله الإمساك عن الطعام والشراب والرفث إلى لحائل من النساء، وهذا القدر من معنى الصوم - في الحقيقة - واجب أساسي لكل صوم، غير أن الإسلام - وهو دين استهدف في فروضه وأدابه وأخلاقه تربية الإنسان مادياً ونفسياً وخلقياً - قد اعتبر الإمساك عن هذه الماديات والرغبات وسيلة لغاية، وبداية لنهاية، ومنطلقاً إلى عبادة أسمى وصوم أكمل وأجمل، لا يغني عنه الجوع ولا الكف عن الشهوات ساعات معدودات، تلك هي تقوى الله التي عبر عنها القرآن في نهاية آية الصوم بقوله تعالى: (لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ) (البقرة/ 183)، وتلك غاية يسرها الله - سبحانه - في شريعة الإسلام التي أمرت بما يستطاع من أعمال الخير، واجتناب كل الشر، فقاعدة هذه الشريعة في قضية التكليف تقضي بأن ارتكاب الشرور بأنواعها المختلفة حرام على المكلف، أما أوامر الله ورسوله، فيكون لزوم أدائها في نطاق القدرة الذاتية لكل مكلف، يدل لهذا قول الله سبحانه وتعالى: (فَاتَّقُوا اللَّهَ مَا اسْتَطَعْتُمْ وَاسْمِعُوا وَأَطِيعُوا) (التغابن/ 16). وقول الله سبحانه: (وَقَدْ فَصَّلَ لَكُمْ مَا حَرَّمَ عَلَيْكُمْ إِلَّا مَا اضْطُرِرْتُمْ إِلَيْهِ وَإِنَّ كَثِيرًا لَيُضِلُُّونَ بِأَهْوَاءِهِمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَا لَمْ يُعْتَدِلِينَ) (الأنعام/ 119). ولقد بيّن رسول الله (ص) هذه القاعدة وأكد حقيقتها في قوله: "إذا أمرتكم بشيء فأتوا منه ما استطعتم، وإذا نهيتكم عن شيء فاجتنبوه". فلنستقبل شهر رمضان بإخلاص الصوم، وأن نصوم عن المفطرات وعن السوءات والسيئات، وأن نكتسب بصومنا أحسن الأعراف والعادات. نسأل الله لأُمَّة الإسلام في هذا الشهر فلاحاً وصلاحاً وتغيراً إلى أحسن حال حتى تكون خير أُمَّة أخرجت للناس.